مقال مراجعة

موضوع (جماليات السود ومقاومة المركز)

م.د. علي سرمد حسين

المديرية العامة للتربية في محافظة بابل

الملخص

يسعى هذا المقال تسليط الضوء على المعايير الجمالية لدى أصحاب البشرة السوداء فيما يتعلق بالقضايا الثقافية والأدبية، وذلك من طريق النظر إلى نسبية الثقافة ونسبية الحقيقة، وهذا التصوّر يعدُّ بحدِّ ذاته فعل مقاومة ضد المركز، لأن المعايير الجمالية السائدة وُضعت من قبل المركز/ الرجل الأبيض بوصفها مطلقة وتم تهميش ما سواها. إذ وضعت المركزية الغربية المتمركزة حول ذاتها، والذي يمثل الرجل الأبيض ذلك التمركز معايير الجمال من وجهة نظرها هي، وتمّ تهميش ما سواها، أقصد أصحاب البشرة السوداء، حتى أصبحت تلك المعايير المثال الذي يُحتذى به في الحكم على الجمال.

وفي هذا المساحة ينطلق فعل المقاومة عند أصحاب البشرة السوداء ومطالبتهم بجماليات خاصة بهم، من مفاهيم ما بعد الحداثة (النسبية، التنوع، نقض المركز، الاختلاف...) إذ تجتمع هذه المبادئ جميعها في نقض الحقيقة، والقول بالاختلاف بوصفه أصلا، أي أن الاختلاف هو من يشكل الهوية وليس العكس، هذا فضلا عن تركيزها على الأبعاد الثقافية

الكلمات المفتاحية:

ما بعد الحداثة، نقض التمركز، جماليات، أدب ونقد.

The aesthetics of the black and deconstruction of centralization

Asst. Dr. Ali sarmad Hussein

Ministry of Education/Babylon Education Directorate

Abstract

This article seeks to shed light on the aesthetic standards of black people in relation to cultural and literary issues, by looking at the relativity of culture and the relativity of truth. This conception is in itself an act of resistance against the center, because the prevailing aesthetic standards were set by the center/white man as absolutes and everything else was marginalized. The self-centered Western center, which the white man represents, set the standards of beauty from its point of view, and everything else, I mean black people, was marginalized until these standards became the model to be emulated in judging beauty.

Keywords:

postmodernism, anti-centrism, aesthetics, literature and criticism.

مقال مراجعة الموضوع

لقد عبّر جون لوك وأكثر مفكري القرن الثامن عشر من أمثال دايفد هيوم وبنيامين بصراحة عن الآراء الشعبية بأنّ لون البشرة الداكن مقترن بالتدني العقلي والروحي، ويرى لوك أن هذا الاختلاف لم يكن يحدث لو لم تكن الطبيعة ذاتها معنية بالتمييز بين تلك السلالات من البشر[أثينا السوداء، الجذور الافيو أسيوية للحضارة الكلاسيكية،: ج١: ٣١٨]. في الوقت ذاته يعزو **هيجل** دونية الرجل الزنجي إلى الطبيعة على اعتبار أن الانسان((ما زال أسيرا للطبيعة ولم ينفصل وعيه عنها ليتمكّن من تشكيل بُعده الإنساني الواعي))[**المركزية الغربية: ٣١٨**]بمعنى أن السمة ((البارزة لحياة الزنوج هي أن الوعي لم يبلغ بعد مرحلة التحقيق الفعلي لأي وجود موضوعي، مثل الله، أو القانون. من هنا كانت الدعوة إلى القضاء على كل ما لا يوافق المسيحية، وعليه كان المبشرون الأوربيون يرون أن من واجبهم المقدّس أن يدخلوا الشعوب جميعا في حلبة الخلاص والنعمة الإلهية، لأن وراء المسيحية يكمن السر في منبع قوّة الرجل الأبيض، الأمر الذي جعل الزنوج يحتلون أدنى مراتب السلّم، بينما يحتل البيض أعلى هذه المراتب[**المصدر نفسه: ٣١٩، ٣٢١**].

لسنا بصدد التعريف بتاريخ العرق والتميُّز العنصري، لكن ما يهمنا أن معايير الجمال قد تمّ وضعها من قبل المركزية البيضاء، وفي هذه المساحة تنطلق **جماليات السود** من نقطة مفادها أن الأدب المكتوب في شكله المألوف أدب نخبوي لا صله له بجماهير الشعوب السوداء، إذ إن السياق العام الذي نشأ فيه علم جمال السود نابع من العالم الغربي/ الأبيض،[**النقد الأدبي الامريكي من الثلاثينيات إلى الثمانينيات: ٣٤٨**]لذلك لا بد من أسطورة للسواد خالية من **القيم الثقافية** البيضاء ، وهذا ما دعا إليه الشاعر **لاري نيل**، أي إلى انفصال الجهود الوليدة للفنانين السود

الجدد عن الأساليب الفنية البيضاء المسيطرة، وريادة أنماط من الابداع تقوم على العنصر الأفريقي، وعليه فإن تدمير ذلك التمركز يكمن في العودة إلى الموسيقى والحكايات الشعبية **الشفهية** الاجتماعية، والتي هي ينابيع الفن الأسود الصادق، إذ إن العودة إلى تلك المصادر يصبح جزءاً عضويا من حياة السود المعاصرة[**المصدر نفسه: ٣٤٧، ٣٤٨**].

إن الدعوة إلى **الشفاهية** تمثل نقطة مهمة في حياة المجتمع الأسود، لأنها أصل ثقافي نابع من التراث، على العكس من الخطاب المكتوب/ ميراث الرجل الأبيض الذي يعدُّ جزءاً من نظام استعماري متمركز حول العرق، وعليه فمهمة الناقد هو الاعتماد على التقاليد العامة والهامشية واستمداد المبادئ والممارسات منها.

كذلك من أهم المبادئ التي نادى بها أصحاب جماليات السود، **هو التخلي عن الاتجاه النصي**، والعودة للأداء الطقسي الشفاهي، يقول لاري نيل: ((يجب على الشعراء تعلم الغناء والرقص وترتيل أعمالهم داخلين بعنف في جوهر تجاربهم الشخصية والجماعية، وعلينا أن نجعل الشعر يحفز الناس لفهم أعمق لحقيقة ذلك الشيء))[**المصدر نفسه: ٣٤٨**] . عند التمعن في النص السابق نجد أن الاهتمام يدور حول ما يحمله **المضمون** من ثقافة، إذ إن التركيز على الجانب الشفاهي وما يصاحبه من رقص وغناء يجعل من الشعر غاية، وشرطها أن تكون قريبة من حياة الناس، كل ذلك من أجل إيجاد محرك ثقافي يوازي ثقافة الآخر التي تعمل على تهميشه.

هذا ما نجده في فلسفة **بركة** المعادية للمحاكاة **وللشكلية**، إذ أن الفن الأسود لا بد له من أبعاد اجتماعية وسياسية، ولا بد أن يقع على عاتق الفنان الأسود مهمة الإبلاغ عن طبيعة المجتمع والتعبير عنها وعن نفسه في ذلك المجتمع [**المصدر نفسه: ٣٤٩**] .

في الوقت ذاته يرى بركة ((أن السياسة والنظرية الاجتماعية والدين والفن تنتج كلها أنماطا منظمة من الصور تولد الوعي الثقافي والاستقلال القومي، من هنا فإن مهمة الفن الاسود المعاصر هي الهجوم على الصور العامة البيضاء وتدعيم الصور السوداء كوسيلة لتوليد الوعي الاسود والامة والثقافة السوداء))[**المصدر نفسه: ٣٥٠**]، وفي هذه المساحة نجد هندرسون يمارس علم الأدب الثقافي ممارسة نقدية، إذ يرى أن جمالية الأدب تتوقف على نظرة ذلك الشعب إلى الجمال من خلال ثقافتها، بمعنى أن الجمال ابن الثقافة، فليس من الضروري أن يكون الجميل في البلدان الاوربية جميلا في افريقيا، من هنا يتطلب وصف وتقييم حركة الفنون السوداء من طريق جماليات سوداء خاصة بها، **ومتجذرة في مجال الروح والتجربة والتاريخ الاسود**، إذ إن العودة للجذور -كما يرى اديسون جيل- لا يدعو إلى استعادة التراث والثقافة الخاصة بالسود وحسب، بل على مقاومة إغراءات الاستيعاب التي دمرت الأعمال الأدبية للعديد من الكتاب السود. من هنا كان بيكو مهتما بالعناصر الفلكلورية المستمدة من الحكايات والأغاني وموسيقى الجاز طيلة تاريخ أدب السود[**المصدر نفسه: ٣٥٠- ٣٥٥**]. إن العودة للجذور واستخدام الأدب ليس للتأكيد على **هوية** سوداء وحسب، بل تفكيك ثنائية أسود/ أبيض. وهذا ما تذهب إليه النظرية الثقافية المستمدة من **فرانز فانون**، أي إلى نبذ المعايير العامة وإعادة تطوير الأساليب والتقاليد الفنية العرقية التي انتقصت مكانتها في السابق، من هنا كان المجاز من أهم الملامح المميزة لأدب السود، وهذا هو الجوهر في بقائهم وسط الثقافات الغربية القاهرة لهم.

في المقابل نجد النسويات السوداوات يوظفن الأدب من أجل إيجاد هوية ثقافية معارضة للصور الثقافية السائدة والتي تحط من قيمة النساء، وعليه كان الالتفاف حول الروايات السيرذاتية نوعا من ممارسة النقد من أجل توحيد الهوية الفردية

بالجماعة، لأن الهوية-كما ترى موريسون- ليس مفهوما يمكن للنساء السوداوات أن يتحملن تبعات التخلي عنه، لأنها مفهوم جماعي وليس فردي[**الأدب والنسوية**: ٢٤٦، ٢٦٠، ٢٦١].

ويمكن تلخيص أهم المطالب التي نادى بها أصحاب جماليات السود بالنقاط الآتية:

١-الدعوة إلى الشفاهية؛ لأنها أصل ثقافي نابع من التراث.

٢-الالتفاف حول الثقافة الشعبية، ومزج الشعر بالموسيقى وغيره من الفنون من أجل الوصول إلى الغايات، أي هدم مركزية الوعي العقلاني/ البيض المتمركز حول ذاته.

٣-نبذ مفهوم الشكل والتركيز على المضامين، لأن هناك نسق ثقافي يريد أن يتطلع إلى الوجود.

٤-العودة إلى الجذور من أجل إيجاد هوية ثقافية موازية لثقافات الآخر التي عملت على تهميشه.

المصادر

* أثينا السوداء، الجذور الافيو أسيوية للحضارة الكلاسيكية، مارتن برنال، ترجمة بطفي عبد الوهاب يحيى وآخرون، المشروع القومي للترجمة، ١٩٨٥، ج١.
* المركزية الغربية، عبد الله ابراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، ٢٠٠٣.
* النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينيات إلى الثمانينيات، فنسنت ليتش، ترجمة محمد يحيى، المجلس الاعلى للثقافة، ٢٠٠.
* الأدب والنسوية، بام موريس، ترجمة سهام عبد السلام، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، ٢٠٠٢.